مقدمة:

نـدأ بخير الكلام، وخير الكلام، كلام الله، نبدأ بذكر الله:

﴿أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

نشـهـد أن لا إله إلا الله ونشـهـد أن قـوله الحق: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

ونشـهـد أن محمداً رسول الله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبعه بإحسان إلى يوم لدين... أما بعد.

فلعل خير ما نبدأ به، أن نذكر الأسوة الحسنة رسولنا محمد بن عبدالله صلى الله عليـه وسلم النبي الأمي، الذي لم يكن قـارئاً عندمـا نزل عليـه الوحي، والذي **ترك أمة الإسلام على المحجة البيضاء ليلها كنهارها**... وقد اصطفاه تعالى على الخلق أجمعين. والاصطفاء يُمثل أسمى درجات الاحتيار والامتياز على سائر خلق الله، إذْ إنه التفوق في أسمى درجاته، والمِهبة في أعلى مراتبها. إنه رسول الهدى الذي أرسله تعالى رحمة وضياءً للعالمين.

وبعد. . . ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين، أصبح لعالم كمدينة صغيرة، يتعارف أصحابها دون مشقة وعناء، فقد أذهلت الاختراعات المعاصرة كل العقول، وفاقت كل القدرات، وبات ما يعيشه الإنسان ويعايشه في يومه شيئاً قديماً لا يتناسب ويُجاري ما هو في عالم الغد. ونحن نعلم أننا نعيش عصر التقنيات والمخترعات والابتكارات التي هي نتاج التفوق العقلي والابتكار من الموهوبين والمتفوقين في مختلف بقاع الأرض، ممن أتيحت لهم الفرص وفتحت أمامهم أبواب المخترعات وحقول التجارب، فكان نتاجهم يفوق التصور، فوصلوا إلى مراتب عالية من الإنجاز والإعجاز فقد حدثت إنجازات لا يُصدقها العقل، من الصواريخ عابرة القارات، والأقمار الصناعية، وشبكات الرادار، والإنترنت، والإلكترونيات، والفيديو، والحاسبات الإنكترونية، والشفرات الوراثية التي أضافت إلى علوم الوراثة ما لا يُصدقه العقل، أو ما قد لا يتوافق مع الشرع. فالاستنساخ واستنباط السلالات الحيوانية والزراعية، واستزراع أجهزة وأعضاء في جسم الإنسان، إضافة إلى نتاج العلوم الصيدلانية التي غطت مساحات عديدة من أدوية الأمراض المعاصرة، إلى غير ذلك، والأمثلة عديدة مما أبدعه المبدعون وابتكره المتفوقون والموهوبون في عالم البشر.

يتبين من ذلك أنه في عالمنا المعاصر، تسعى الدول المتقدمة والنامية على حد سواء، وبخاصة التي لديها كفاءات بشرية قادرة على تنمية موارد بلادها، إلى توفير كافة الطاقات والإمكانات العملية والعلمية الأساسية. لتنمية الاستعدادات والقدرات العقلية والطاقات التي تتوافر لدى أبنائها عامة، ووفق ما يسمح للمتفوقين والموهوبين منهم، ببذل كل طاقاتهم العقلية

والابتكارية واستعداداتهم وأنشطتهم المتفوقة لمجتمعاتهم؛ لرفع مستوى الحياة، وإثراء مجالات الإنتاج المختلفة في كافة الميادين، ويُعد هذا من مقتضيات النماء والتقدم في عالم متطور لا يقف تقدمه، بل هناك كل مستحدث بين عشية وضحاها.

ومن المعروف أن المجتمعات المعاصرة تواجه مشكلات الاستحداثات للتقنيات ذات المستوى الرفيع، التي تؤثر في مظاهر الحياة الاجتماعية المختلفة، حيث تتسارع وتتسابق المجتمعات في ابتكاراتها حتى تلاحق ركب التقدم العلمي، الأمر الذي جعل هذا المجتمعات في حاجة ملحة وسريعة إلى من يقوم من أبنائها بحل المشكلات المعاصرة، ومسايرة التطورات والاستحداثات التقنية، إضافة إلى ما يصنعه المتفوقون والموهوبون في هذه الدول من علماء الفكر والعلم والأدب والفن لنماء الحضارة الإنسانية وازدهار الثقافات المعاصرة، حتى أضحى إنسان العصر، غير قادر على ملاحقة كل مستحدث ومبتكر في عالم سريع النماء.

لذلك وجب الاهتمام البالغ بالقوى البشرية بجميع كفاءاتها واستعداداتها، إذ إن هذا الاهتمام يُعد ركيزة أساسية لاستغلال الطاقات البشرية والقوى العاملة في المجتمعات النامية والمتقدمة بغية تقدم الأمم وازدهارها.

وتَعُدُّ جميع الدول المتفوقين والموهوبين من أبنائها، من أهم الثروات البشرية ذات العائد القومي؛ لما يتّسم به المتفوقون والموهوبون من طاقات واستعدادات وقدرات، يمكن أن تُستغل في بناء المجتمعات. فالمتفوقون والموهوبون في العلوم في شتى ميادينها والمهنِ في جميع مجالاتها، والعاملون في ميادين المعرفة، يُقدمون كل جديد ومستحدث مما قد يعجز

غيرهم من الأفراد العاديين عن تقديمه، فهم عماد الأمة ومنار النهضة والتقدم، الذي يُمكن الأمم النامية ، بصفة خاصة، أن تلاحق الركب والتقدم التقني في مجالاته المتعددة؛ حتى تواكب في تقدمها مصاف الأمم المتقدمة.

لذلك تسعى المجتمعات المعاصرة - بصفة عامة - نحو اكتشاف المتفوقين والموهوبين من أبنائها، وتتيح لهم فرص النماء فيما يتفوقون فيه، وتتسح لهم المجال، وتوفر لهم الإمكانات المادية والمعنوية للاستفادة من تفوقهم.

ونظراً إلى أن الدول تحتاج إلى إنجازات المتفوقين من أبنائها وإبتكاراتهم لمسايرة التقدم العلمي في جميع الميادين، أصبح أمر الكشف عن تفوقهم ومواهبهم أمراً في غاية الأهمية لما تحتاجه الأمم، بل يُعد مسعى جاداً في الدول كافة، من خلال ما تتيحه الدول لهم من الرعاية الكافية المادية والمعنوية، وفي حالة ما تعجز الدول عن ذلك لقصور مادي، أو لأن المجتمع ذاته تتسم حياته بالتخلف والجمود، فإن في هذا ما يعوق مسيرة المتفوقين والموهوبين، بل تفتر الهمم ويخمد النشاط، وقد تكون العواقب غير محمودة على هؤلاء النخبة الممتازة من أبناء المجتمع. بل من المعلوم أن عدم إتاحة الإمكانات أو تهيئة المناخ المناسب أمام المتفوقين قد يؤدي إلى الإحباط، والخمول، والانحراف، وتضيع آمال المجتمع في إتاحة الفرص المناسبة للاستفادة من استعدادات الموهوبين. إضافة إلى أن الحاجات الأساسية للمتفوقين من التقدير واحترام الذات، وتشجيع الابتكارات والإنتاجية لديهم، والاستقلال وتحقيق الذات، هي نفس حاجات غيرهم من الأفراد العاديين. لذلك فإنه ففي حال عدم إشباع الحاجات الخاصة بهم، سوف يُعانون مثل غيرهم من مشكلات القلق، والتوتر، وتحقير الذات،

والاضطراب والشعور بفقدان الأمل. بل إن فقدان التقدير الاجتماعي المناسب أو عدم توافره مادياً كان أم معنوياً، ربما يؤدي بالمتفوقين إلى مشكلات خاصة بالإنجاز وضعف الاستجابة لتحقيق طموحاتهم.

وفيما يتعلق بالرعاية الأساسية للمتفوقين فإن أمر اكتشافهم ورعايتهم على مستوى الدول كافة يعد المرتبة الأولى في البرامج التربوية والنمائية والاجتماعية، التي تهدف إلى رعايتهم وتحقيق طموحاتهم ومطالبهم الأساسية وإتاحة فرص النماء والتقدم، لذلك تحتاج المعوقات التي تعوق مسيرة تقدم المتفوقين الموهوبين، إلى دراسات وبحوث رائدة للتغلب عليها، لاستثمار طاقات المتفوقين ورفع مسيرتهم إلى التقدم والمزيد من نمائهم العقي والابتكاري، ثم لتقدم أوطانهم وارتقائها.

وإن الذي يتابع الاهتمام بالموهوبين والمتفوقين، يرى أن تطوير مفهوم التفوق العقلي ارتبط بتطور العلوم النفسية وتعدد ميادينها، لأن مصطلح العبقرية يُعد من المصطلحات الشائعة منذ حقب زمنية طويلة، وقد استخدم للتعبير عن التفوق العقلي، حيث كان استخدام العبقرية يقع على من تم اكتشاف تفوقهم في مجالات علمية أو إنتاج رفيع في مجالات العلم أو الفن أو الإدارة أو القضاء.

وفي أوائل القرن العشرين ارتبط مفهوم العبقرية بالابتكارية، ثم أعقب ذلك مصطلح الموهبة (Talent)، وعُدَّت الموهبة ما يُمثل توافر قدرات خاصة في ميادين الموسيقى والشعر، والرياضة، والميكانيكا، ومجالات أخرى في العلوم والتقنيات المعاصرة.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين استخدم مصطلح التفوق العقلي (Intellectually Giftedness) في مجالات معرفية.

وهناك تعريف عام للتفوق يُشير إلى القدرات المتميزة للفرد ـ التي تساعد على الإنجاز (Achievement)، ومن ثم فإن هناك ضرورة للبرامج التربوية الخاصة والخدمات التعليمية التي يتضمنها البرنامج المدرسي، وهذه البرامج من خلالها يمكن للمتفوق المساهمة في الارتقاء بمستواه العلمي لصالح ذاته وللمجتمع.

وليس ضرورة الدخول في التعريف بمصطلحات المتفوقين الموهوبين، قدر ما نحتاج إلى التعرف على المحكات التي من خلالها يتم اكتشاف الموهوبين، وخصائصهم، وتنمية قدراتهم، وإعداد وتدريب المعلمين الذي يعملون في حقل تعليم المتفوقين، والسمات والخصائص التي ينبغي توافرها في المعلمين بوصفهم ذوي أدوار ومسؤوليات مهمة في التوجيه والإرشاد والتعرف على ميول وقدرات واستعدادات الموهوبين والمتفوقين، ومعاونتهم في تحديد طموحات المستقبل وخططه، والاتجاهات التي تلقى اهتماماً كبيراً في إعداد وتدريب المعلمين للموهوبين والمتفوقين. هذا مع ما يجب تأكيده من أن الأسرة والمجتمع لهما أدوار مهمة في رعاية المتفوقين، تُساند ادوار المؤسسات التعليمية والتربوية في رعاية الموهوبين والمتفوقين.

وعلى مستوى الدول العربية نجد الاهتمام المتابع بالمتفوقين والموهوبين، وبخاصة الذين يُظهرون تفوقاً في الأداءات المختلفة في مجالات الحياة الأدبية والعلمية والفنية والرياضية، ومن دلائل ذلك متابعة الأبناء المتفوقين في التحصيل الدراسي عند ايفادهم في بعثات دراسية إلى الخارج للحصول

على مؤهلات علمية، وصقل مواهبهم عند مزاولتهم للدراسات الجامعية أو في الدراسات العليا للماجستير والدكتوراه.

ويجب التنويه بدور الدول العربية في رصد الجوائز التشجيعية والتقديرية للعلماء والادباء والعاملين في مجالات الفنون والآداب. ومن أمثلة هذه الجوائز جائزة الدولة التشجيعية وجائزة الدولة التقديرية في جمهورية مصر العربية، وجائزة الملك فيصل، والجوائز التقديرية في مجالات الآداب والثقافة في المملكة العربية السعودية، وجوائز المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب في دولة الكويت.

كما ننوه أنه من طلائع الاهتمام بالمتفوقين في المملكة العربية السعودية برنامج الكشف عن الموهوبين ورعايتهم، حيث تبنت البرنامجَ مدينةُ الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بمشاركة اللجنة الوطنية للتعليم، وقد بدأ البرنامج في عام ١٤١١هـ، وانتهى في عام ١٤١٣هـ، ولا زالت البحوث العلمية مستمرة.

هذا مع ما ننوه إليه من برنامج الاستثمار في الموهبة الإنسانية في المملكة العربية السعودية، وهو من البرامج الرائدة التي تُشرف عليها وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية بالتعاون مع الأمانة العامة للتربية الخاصة. وقد بدأ البرنامج عمله مع بداية العام الدراسي ١٤١٩/١٨هـ في مركز رعاية الموهوبين بمجمع الأمير سلطان التعليمي بمدينة الرياض.

ولعل من الإنجازات الرائدة التي يوليها المسئولون بالمملكة العربية السعودية بقيادة خادم الحرمين الشريفين وسمو نائبيه الكرام والمسئولون عن التعليم بالمملكة من العاملين على الارتقاء بمستوى المتعلمين في كافة مراحل

التعليم، ما استقر عليه الاهتمام البالغ، حيث تم إنشاء مؤسسة الملك عبدالعزيز ورجاله لرعاية الموهوبين مع مطلع العام الهجري ١٤٢٠هـ. وصدرت الموافقة السامية على تحديد اللائحة الأساسية للمؤسسة، وعلى رئس هذه المؤسسة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبد العزيز آل سعود، ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه، أنه رغم ما تُقدمه الدول العربية من جهود بالغة.. معاصرة ومنذ أمد بعيد.. في رعاية أبنائها المتفوقين والموهوبين: إلا أنه نظراً لعدم إتاحة فرص النماء العلمي للموهوبين، وقلة الإمكانات التي تتيح لهم المجالات البناءة لتفوقهم، فإن المناخ الذي يعايشونه يُشجع على هجرتهم إلى الدول الصناعية الكبرى، وهو ما يُعرف باستنزاف العقول، الأمر الذي يمثل مشكله تحتاج إلى تضامن عربي ووقفات متأنية بهدف إتاحة أكبر قدر ممكن أمام المتفوقين والموهوبين في الدول العربية، حتى لا يهاجروا من أوطانهم، وهي في أمسّ الحاجة إلى خدماتهم، وحتى لا يتم استنزاف عقولهم في دول متقدمة، تُعرف بالدول ذات الإنجاز العلمي (High achievement)، قد لا تحتاج إلى جهودهم، ولكنها تفعل ذلك لاستنزاف عقول الموهوبين، بغية أن تكون دائماً في الصدارة ولا يتفوق على إنتاجها وتقدمها وتقنياتها دول أخرى، مهما بلغ العائد على هذه الدول من خسائر مادية وبشرية.

ويأمل الباحثان عند إعداد هذه الدراسة، أن يكون العائد من وراء ذلك بحث ودراسة:

الموهوبون آفاق الرعاية والتأهيل بين الواقعين: العربي والعالمي

وختاماً نسأل الله رعايته وتوفيقه لما نقدمه من علم نرجو أن يكون مقبولاً من حيث النفع، وعائده يعمل على الرعاية والتأهيل للموهوبين والمتفوقين في العالم العربي، بما يجعلهم ذوي نفع لأوطانهم، التي تسعى بكل جهدها، وتسابق العالم في عصر التقنيات والتقدم العلمي الذي بلغ مداه.

وبعد... لله نسأل الهداية والتوفيق، وأن يمنحنا تعالى علماً ينفع في دنيانا وقلباً يخشع لعبادته تعالى، وعملاً صالحاً مقبولاً يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

الباحثان:

أ.د/ عبد المجيد سيد أحمد منصور د./ محمد بن عبد المحسن التويجري

الرياض:

المحرم من ١٤٢١ من الهجرة.

أبريل من ٢٠٠٠ من الميلاد.